المحاضرة السادسة:

التضاد اللغوي في القرآن الكريم.

أولا: التضاد اللغوي في لغة العرب (دراسة نظرية).

أ: تعريف الأضداد لغة واصطلاحا.

1: تعريف الأضداد لغة جاء في معجم مقاييس اللغة أن: " الضاد والدال كلمتان متباينتان في القياس، فالأولى الضد ضد الشيء، والمتضادان الشيئان، لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالليل والنهار، والكلمة الأخرى الضد وهو الملء بفتح الضاد يقال ضد القربة أي : ملأها ضداً"[1].

بالنظر إلى هذه المعاني اللغوية يمكن القول أن ضد الشيء ما نافاه وخالفه.

2: تعريف الأضداد اصطلاحا.

تعريف أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة: " لا نعني بالأضداد ما يعنيه علماء اللغة المحدثون من وجود لفظين يختلفان نطقا ويتضادان معنى كالقصير في مقابل الطويل والجميل في مقابل القبيح، وإنما نعني بها مفهومها القديم، وهو اللفظ المستعمل في معنيين متضادين"[2].

ب: الأضداد والألفاظ المقاربة لها.

ذكر العلماء ألفاظا قد تتشابه مع الأضداد أو تتقاطع معها يجب التفريق بينها ومنها.

ج:مذاهب العلماء في التضاد اللغوي.

المثبتون للتضاد اللغوي وأدلتهم.

ذهب أكثر اللغويين إلى إثبات الأضداد في كلام العرب، منهم قطرب، و الفراء وأبو عبيدة و الأصمعي و أبو عبيد وابن السكيت و أبو حاتم السجستاني وأبو بكر بن الأنباري، وأبو الطيب الحلبي؛ وهؤلاء الذين سبق ذكرهم كل واحد منهم ألَّف في الأضداد.[3]

من أدلة المثبتين:

---

[1] : معجم مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس – مادة (ض د) – ت: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – د.ط – د.ت – ج: 3 – ص: 360.

[2] : علم الدلالة – أحمد مختار عمر – مصر – عالم الكتب – ط.5 – 1998م – ص:191.

[3] : ينظر: الأضداد في القرآن الكريم عند المفسرين – محمد بن فرحان الدوسري – رسالة ماجيستير – إشراف : أ.د.بدر بن ناصر البدر – جامعة الإمام محمد بن سعود – 1429 هـ – 1430هـ – ص:50.

الرواية عن العرب الخلص[4]: ،فقد جاءت معاني الأضداد ثابتة في كلام العرب قال ابن فارس:" ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد، نحو الجون للأسود، والجون للأبيض؛ وأنكر ناس هذا المذهب، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده، وهذا ليس بشيء، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهنداً، والفرس طِرفاً، هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد"[5].

إذا أمكن وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه، فكيف لا يمكن وقوعها للشيء وضده، وليس يخفى أن الضد من وجوه الخلاف.

النافون لوجود التضاد في اللغة وأدلتهم.

ذهبت فئة قليلة من علماء اللغة إلى رد القول بوجود التضاد في اللغة، ولعل أشهرهم في ذلك: (المبرد، والزجاج، وثعلب، وابن درستويه)[6].

من أدلة النافين لوجود التضاد في اللغة.

يقول ابن دُرُستويه:" وليس إدخال الإلباس في الكلام من الحكمة والصواب. وواضع اللغة- عز وجل- حكيم عليم، وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد، للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد للآخر، لما كان في ذلك إبانة، بل كان تعمية وتغطية"[7].

وجود الأضداد يعد نقصاً في لغة العرب.[8]

والملاحظ أن أدلة المنكرين مرجوحة مقارنة بالمثبتين، إذ كيف يعد التضاد عيبا في اللغة وهو رافد من روافد إثرائها بالدلالات والمعاني، ثم إن المثبت للشيء مقدم على النافي، ومن عرف

---

[4]: المرجع نفسه - ص: 50.

[5]: الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها – ابن فارس – ت: عمر فاروق الطباع – بيروت – مكتبة المعارف – 1414هـ - 1993م – ص:99.

[6]: ينظر: الأضداد في القرآن الكريم عند المفسرين – محمد بن فرحان الدوسري - ص:50.

[7]: تصحيح الفصيح وشرحه – ابن درستويه – ت: محمد البدوي مختون – مصر – د.ط – 1425هـ - 2004م – ص: 71.

[8]: علم الدلالة - أحمد مختار عمر – ص:195.

الشيء وعلمه حجة على من لم يعلمه كما هو مقرر عند أرباب الفهوم؛ ومع ذلك فهذا لا ينفي ضرورة التوسط والإعتدال في القول بذلك.

د: أسباب نشأة التضاد اللغوي.

يمكن تلخيص أهم أسباب نشأة الألفاظ المتضادة في اللغة كالآتي:

أ: اختلاف القبائل العربية في استعمال الألفاظ:[9]

وذلك أن يكون للفظ واحد معنيان متناقضان أحدهما لحي من العرب، والمعنى الآخر لحي غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، كلفظة وثَب المستعملة عند حمير بمعنى قَعد وعند مضر بمعنى طَفر والسدفة في لغة تميم الظلمة، وفي لغة قيس الضوء.[10]

ب: أسباب اجتماعية كالتفاؤل والتشاؤم والتهكم والتأدب..[11] ومن أمثلة ذلك:

1: قولهم للعاقل :يا عاقل، وللجاهل إذا استهزؤوا به :يا عاقل !يريدون :يا عاقل عند نفسك.[12]

2: إطلاقهم البصير على الأعمى من باب التأدب.[13]

3: إطلاقهم القافلة على الجماعة المسافرة تفاؤلا برجوعهم.[14]

ج: التطور اللغوي.

وصورة ذلك أن يكون للفظتين مختلفتين معنيان متضادان، فتتطور أصوات إحداهما بصورة تجعلها تنطبق على الأخرى تماماً، فيبدو الأمر كما لو كانت كلمة واحدة لها معنيان متضادان، مثل: (تلحلح) بمعنى أقام و ثبت، وبمعنى زال وذهب، فالمعنى الثاني كان في

---

[9] : ظاهرة الأضداد في اللغة العربية وأثرها في الدراسات القرآنية - جعفر السيد باقر الحسيني – ص:15.

[10] : المرجع نفسه – الصفحة نفسها.

[11] : علم الدلالة - أحمد مختار عمر – ص:206.

[12] : الأضداد – ابن الأنباري – ص: 258.

[13] : المرجع السابق – ص: 207.

[14] : علم الدلالة - أحمد مختار عمر – ص:206.

الأصل لكلمة أخرى هي (تحلحل)، ثم حدث قلب مكاني، فقُدمت من اللام و أُخّرت الحاء. [15]

د: اختلاف الأصل الاشتقاقي.

ومعنى ذلك أن يكون الأصل الاشتقاقي للمعنيين المتضادين للكلمة الواحدة مختلفا، ومثال ذلك الفعل "ضاع" بمعنى اختفى، وبمعنى ظهر وبدا؛ فأما ضاع يضيع بمعنى الضياع، والألف منقلبة عن ياء، وأما ضاع يضوع إذا ظهر، والألف منقلبة عن واو.[16]

هـ: الإبهام في المعنى الأصلي وعدم تحدده.[17]

وحاصل معنى هذا السبب أنه حال الإستعمال قد يظن فريق تخصصه بأحد جوانب المعنى، ويظن فريق آخر تخصصه بمعناه الآخر المضاد، ومثل ذلك كلمة "وثَب "وتعني في أصلها الانتقال من حال إلى حال أخرى من غير تعيين لهذه الأحوال، ثم انفردت في اللهجات الشمالية في أرض العرب بمعنى القفز وفي اللهجات الجنوبية بمعنى الجلوس[18].

و: المجاز والاستعارة.[19]

يقول علي عبد الواحد وافي موضحا أثر المجاز والإستعارة في وجود التضاد: "قد يجيء التضاد من انتقال اللفظ عن معناه إلى معنى آخر مجازي لنكتة بلاغية أو لعلاقة ما، كقوله تعالى(**نسوا الله فنسيهم**) فالفعل الثاني غير مستعمل في معناه الأصلي، لأن الله لا يجوز عليه السهو، بل مستعمل في معنى الإهمال والترك المقصود على سبيل الاستعارة، وقد حسن هذه الاستعارة ما تحققه من مشاكلة بين اللفظين، وتجانس بين الجزاء والعمل"[20].

ز: الاقتراض من اللغات الأخرى:

---

[15] : ينظر: ظاهرة الأضداد في اللغة العربية وأثرها في الدراسات القرآنية - جعفر السيد باقر الحسيني – ص:8.

[16] : ينظر: المرجع السابق – ص: 210.

[17] : علم الدلالة – أحمد مختار عمر – ص:208.

[18] : ينظر: المرجع نفسه - ص:209.

[19] : الألفاظ المتضادة في القرآن الكريم – سلمى حسن أحمد البدوي – رسالة ماجيستير – إشراف الدكتور: عوض علي بشير – جامعة الخرطوم - السودان – 2010م – ص: 50.

[20] : فقه اللغة – عي عبد الواحد وافي - نهضة مصر للطباعة – ط.3 – 2004م – ص: 150.

أورد الدكتور أحمد مختار عمر نسبة هذا السبب في كتابه علم الدلالة إلى المستشرق الألماني Giese قائلا:" إن من أسباب الأضداد اقتراض العرب بعض الألفاظ من اللغات المجاورة لهم. ولما كان معناها الأصلي قد تتباين إيحاءاته فقد أدى ذلك إلى التضاد في العربية. ومثل لهذا السبب بلفظة " "جلَل ، إذ يرى أن العربية أخذته عن العبرية وهو فيها بمعنى دحرج" ولما كان الشيء المدحرج ثقيلا أحيانا وخفيفا أحيانا أخرى اعتمدت العربية هذين الإيحاءين المتضادين للكلمة الواحدة وأعطتها معنيين متضادين هما: عظيم وحقير"[21].

ثانيا: أثر التضاد اللغوي في اختلاف المفسرين.

أ: التضاد اللغوي في الأسماء.

لفظ الصريم في قوله تعالى:(فأصبحت كالصريم).

قال صاحب البحر المحيط:" فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ قال ابن عباس: **كالرماد الأسود،** والصريم: الرماد الأسود بلغة خزيمة، وعنه أيضاً: الصريم **رملة باليمن معروفة لا تنبت،** فشبه جنتهم بها؛ وقال الحسن: صرم عنها الخير، أي **قطع،** فالصريم بمعنى مصروم؛ وقال الثوري: كالصبح من حيث ابيضت كالزرع المحصود؛ وقال مورج: كالرملة انصرمت من معظم الرمل، والرملة لا تنبت شيئاً ينفع؛ وقال الأخفش: كالصبح انصرم من الليل؛ وقال المبرد: كالنهار فلا شيء فيها. وقال شمر : الصريم : **الليل،** والصريم: **النهار،** أي ينصرم هذا عن ذاك، وذاك عن هذا؛ وقال الفراء والقاضي منذر بن سعيد وجماعة : الصريم : الليل من حيث اسودت جنتهم"[22].

خلاصة ما ذكره أبو حيان الأندلسي في دلالة الصريم ما يأتي من المعاني:

- الصريم بمعنى الليل.
- والصريم بمعنى النهار.
- والصريم بمعنى المصروم أي المقطوع.
- والصريم بمعنى الرماد الأسود.
- والصريم بمعنى رملة باليمن معروفة لا تنبت.
- والصريم بمعنى الصبح من حيث ابيضت جنتهم كالزرع المحصود.

---

[21] : علم الدلالة – أحمد مختار عمر – ص:208 – 209.

[22] : تفسير البحر المحيط – ج:8 – ص:306..

وبالتأمل في هذه المعاني يمكن ملاحظة أن منها معنيين متضادين هما الليل والنهار، إذ يتصرم كل واحد منهما من الآخر.

ب: التضاد اللغوي في الأفعال.

لفظ عسعس في قوله تعالى: (واليل إذا عسعس).

قال الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه:" يقال عَسْعَسَ الليل إذَا **أَقْبَلَ**، وعَسْعَسَ إذا **أَدْبَر**، والمِعْنَيَانِ يرجعان إلى شيءٍ وَاحدٍ، وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره."[23].

وقال صاحب زاد المسير في علم التفسير:" قوله عزّ وجلّ: وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ فيه قولان: أحدهما: **ولَّى**، قاله ابن عباس، وابن زيد، والفراء. والثاني: **أقبل**، قاله ابن جبير، وقتادة. قال الزجاج: يقال: عسعس الليل: إذا أقبل، وعسعس: إذا أدبر، واستدل من قال: إن المراد: إدباره بقوله عزّ وجلّ: وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ"[24].

مما سبق فلفظ عسعس من الألفاظ المتضادة في اللغة العربية التي تحتمل المعنى وما يقابله؛ وقد أضفى هذا التضاد المعنوي فوائد جمة كبيان قدرة العظيم سبحانه وكذا وإظهار إعجاز القرآن قال الطاهر بن عاشور:" وبذلك يكون إيثار هذا الفعل لإفادته كلا حَالَين صالحين للقسم به فيهما لأنهما من مظاهر القدرة إذ يعقب الظلام الضياء ثم يعقب الضياء الظلام، وهذا إيجاز، وعُطف عليه القسم بالصُبح حين تنفسه، أي انشقاق ضوئه لمناسبة ذكر الليل، ولأن تنفس الصبح من مظاهر بديع النظام الذي جعله الله في هذا العالم"[25].

---

[23] : معاني القرآن وإعرابه – ابراهيم بن السري الزجاج – ت: عبد الجليل عبده شلبي – عالم الكتب – ط.1 – 1408هـ - 1988م - ج:5 – ص:292.

[24] : زاد المسير في علم التفسير - ج:4 – ص:408.

[25] : التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – د.ط – د.ت - ج:30 – ص:154.